الفصل الثانى

أسلحة الميديا..

- حرب الكاميرات.
- .. إنه عصر الأكاذيب الأمريكية الكبرى.
- المجتمع الدولى.. مفهوم خارج عن المعنى.
- سلاح الميديا (حرب العراق نموذجا).

obeikandl.com

obeikandl.com

حرب "الكاميرات":

عندما ذكرت مادلين أولبرايت – وزيرة الخارجية الأمريكية- السابقة "أن شبكة C.N.N هى العضو السادس (الدائم) فى مجلس الأمن لم تكن تعبث كما لم تكن تلقى الكلام على عواهنه، وإنما كانت تعنى أن لوسائل الإعلام (الميديا) من النفوذ والتأثير ما يفوق التصور.

فالميديا هى التى تفضح وتستر، وهى التى تكشف وتخفى وهى التى تقول أو لا تقول.. وخطورة ذلك كله ينبع من قدرتها على تشكيل الرأى العام، وتجييشه أو تفكيكه.. وتوجيهه أو تضليله.

..ولعل هذا الأمر تحديداً –أمر التوجيه أو التضليل- هو ما كان يعنيه يوشكا فيشر وزير الخارجية الألمانى السابق عندما قال: إن هناك أشياء كثيرة فى الخفاء، وإذا أتيح لنا يوماً أن نعرفها، فلن نصدق ما نسمع!!.

..وعندما اعترف جاك اتالى رجل الفكر والمال اليهودى الذى عمل لسنوات مستشاراً "للرئيس الفرنسى الراحل فرنسوا ميتران: "إن اليهود فرضوا سيطرتهم على العالم بامتلاكهم الميديا". كان صادقاً مع نفسه، ولم يقل غير الحقيقة" فمن يملك المعلومة.. يملك العالم".

ثم من يذيعها على الناس (أو يخفيها) هو "السيد" مُعّرفاً بالألف واللام. لأنه – والحالة هذه- سيكون صاحب المعرفة.. وغيره سيكون من الضالين والمَضللين (بفتح اللام).

والميديا بوصفها الوسيلة الناجعة للدعاية كان طبيعياً أن توليها النظم والحكومات أهمية قصوى.. فالسيطرة على منشآت الإذاعة والتليفزيون تكون – دائماً- على صدر أولويات الثوريين من راغبى تغيير الحكم فى أى بلد أو أمة.. لأنها ستكون "لسان حال" صاحب السلطة وكأنها "العين" التى يرى بها الآخرين (ويرونه!).

...ولهذا اعتبرت أمريكا نفسها قد خسرت معركة الميديا فى بعض مراحل حرب أفغانستان عندما أذيع أن الصرب هم الشريرون! بينما المسلمون هم الضحايا!.

وكان الكثيرون لا يعرفون قبل إذاعة هذا الشئ -من هو المعتدى ومن هو الضحية!

إذن الميديا هى أشبه بالكاميرا، بل هى الكاميرا ذاتها ولعل تصريح الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش قبيل اندلاع حرب أفغانستان، لم يكن يعنى سوى ذلك عندما قال:

"إن الشبكات التليفزيونية ستكون مصاحبة للهجمات الجوية التى ستصب نيرانها فوق مواقع طالبان"!!

.. وعلى نفس الوتيرة سارت سياسة واشنطن فى حروب الخليج جميعاً (الأولى أو الثانية) عندما أصرت على أن تنقل C.N.N تطورات الحرب ودقائقها عبر الشاشات.. حتى قال البعض -وهم على حق- إن ما عرضته الشبكة عن مسرح الأحداث أشبه بفيلم من إنتاج هوليود، يظهر فيه أعداء الولايات المتحدة وكأنهم شياطين.. وحتماً سيلقون العقاب!

وكان طبيعياً -فى هذا الإطار- أن يتحدث المراقبون فى ذلك الوقت عن أن حرب الخليج كشفت ثلاث قوى تفجيرية كبرى الأولى: صواريخ توما هوك. والثانية: القنابل التى تتحرك بالليزر. أما الثالثة فهى كاميرات شبكة C.N.N.

...بهذه المعانى يمكن أن نقول باطمئنان أن الكاميرات أو الشاشات التليفزيونية أصبحت أداة سياسية بامتياز. يصل بسياسته إلى بر الأمان من يبرع فى استخدامها. ويحضرنى - فى التو واللحظة- مثالان الأول يتعلق بالصين عندما عرضت الشاشات الأمريكية جملة من المشاهد التى تسلط الضوء على المعاملة السيئة التى يلقاها الأطفال غير المرغوب فيهم فى مراكز الأيتام فى بكين!.

وبهذا نجحت واشنطن -بالفعل- فى تعبئة مساحة كبيرة من السخط ضد الصين بين شرائح عديدة من الرأى العام. وتحدث المحللون عن دخول الكاميرات ضمن حلقات الصراع الأمريكى - الصينى.

المثال الثانى وقع فى عام ١٩٩١ عندما أسهمت شبكة C.N.N فى الحديث عن إفلاس العديد من البنوك مع عرض لمشاهد تعكس -بشكل مباشر- هذه الكارثة المتوقعة قريباً.

ومعلوم أن العملاء أذهلتهم المشاهد المبثوثة عبر كاميرات التليفزيون وهرعوا من فورهم يسحبون أرصدتهم!!.

ولعل المثال الصارخ على براعة الكاميرات فى إدارة صراع أو تمرير سياسة من نوع ما. أو تجييش الرأى العام مع أو ضد فكرة.. هو ما حدث بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ عندما تعمدت الشاشات الأوروبية والأمريكية إذاعة مشاهد التمثيل بجثث الضباط الأمريكيين الأربعة من قبل صبيه صوماليين وسحلها فى الشوارع والميادين.

وكلنا يعلم قدر الإساءة التى لحقت بالإسلام والمسلمين الذين أضحوا منذ هذه اللحظة وكأنهم (جميعاً) همجيون وبرابرة ولصوص وقطاع طرق.. والأخطر أن الإسلام قد ألصقت به تهم عديدة (هو بالقطع منها براء) لأن أحداً ليس حجة على الإسلام.. فضلاً عن أن كل إنسان مسئول عن سلوكه وتصرفاته وليس دينه!.

بكلمة أخيرة: إن حروب القرن الحادى والعشرين لم تعد تعتمد فقط على خطط الهجوم الجوى أو الاجتياح البرى والبحرى وإنما أيضاً على الكاميرات التى أضحت سلاحاً يرصد، ويكشف ويفتك بالأبرياء!.

إنه عصر الأكاذيب الأمريكية الكبرى!

.. لأمر ما تكون "وسائل الميديا" هى الهدف الاستراتيجى الأول الذى تضعه أى قوة انقلابية (فى أى دولة) فى اعتبارها بحيث يكون فرض السيطرة عليها على رأس أجندتها لأنها تعلم أن امتلاك "المعلومة" شئ مهم، والسيطرة على "حواس" الشعوب شرط أساسى لنجاح أى فكرة أو مخطط.

ولذلك تأتى "الدعاية" أو "الإعلام" أو "الميديا" ضمن أدوات السياسة الخارجية لأى دولة جنباً إلى جنب مع الدبلوماسية والحرب.

وإذا تأملنا مجمل الأحداث الإقليمية والدولية القريبة وخصوصاً الحرب الأمريكية على العراق لوجدنا أن وسائل "الميديا" هى المتورط الأول فى هذه الحرب.

ولذلك تم فبركة أكاذيب عديدة شملت أسباب الحرب ونتائجها على السواء بهدف خدمة الفكر الإمبراطورى الأمريكى الذى يريد أن يسيطر على العالم من أقصاه إلى أدناه امتثا لا لمقولة مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة: "العالم لنا.. العالم للأمريكان"!

والثابت اليوم أن هدف أمريكا من الحرب الضروس التى شنتها على العراق لم يكن إسقاط نظام صدام حسين أو نزع أسلحته للدمار الشامل، حسبما روجت أبواقها الدعائية والإعلامية بكل وسائل الميديا، وبشتى اللغات، وفى كل بقاع الأرض، لأن هدفاً "متواضعاً" كهذا ليس فى حاجة إلى تعبئة كل هذه الحشود والعتاد (ربع مليون جندى أمريكى وبريطانى) فى المنطقة، خصوصاً إذا علمنا أن لجان التفتيش الدولية أكدت أن العراق "خال" من أسلحة الدمار الشامل، ثم أن إسقاط نظام صدام حسين هو أمر قد تحققه فرقة صغيرة فى زمن قصير ثم ينتهى الأمر..

لكن لأن الهدف كان هو احتلال العراق.. فكان لابد من تسويق الأكاذيب، وترويج الحجج والأعذار فى كل وسائل الميديا، لكسب الرأى العام الأمريكى والعالمى إلى صف الحرب.

.. وحول نفس المعنى يؤكد الخبراء الاستراتيجيون أن العراق لو كان يصدر " طماطم" أو "تفاحاً" لما كانت اهتمت به أمريكا لا من قريب ولا من بعيد، ولكن لأنه يصدر "النفط" ويتحكم بشكل أساسى فى أسعاره، فكان لابد من احتلاله، واستغلال ثرواته لتضخ القوة –فى النهاية– فى شرايين الدولة العظمى فى العالم.. فضلا عن أن أمريكا التى تستهلك ربع إنتاج الطاقة فى العالم، لم تشأ أن تظل دولة "طامحة" إلى القوة "مثل العراق" هى التى تتحكم فى هذه السلعة الاستراتيجية فى العالم (النفط).

.والحقيقة التى لا ينكرها أحد هى أن رحيل صدام حسين هو جزء أساسى من خطة شاملة تستهدف تغيير أو "إعادة صياغة" منطقة الشرق الأوسط. فأمريكا المنتصرة فى الحرب الباردة (ثم حرب الخليج الثانية) رسمت موقفها السياسى فى منطقة الشرق الأوسط انطلاقاً من هذه النجاحات.. والصورة المأمولة هى : أن تكون هناك سوريا ضعيفة، والالتفاف حول إيران لضمان الحدود الشمالية لإسرائيل، وإسقاط نظام صدام حسين لتحل محله قوة استراتيجية قوامها تحالف تركى إسرائيلى.. وهذه الصورة مرهونة بتحرك أمريكى حاسم لاحتلال العراق.

.وبالتالى رأت الإدارة الأمريكية أن وجود "عراق قوى" تحت قيادة صدام حسين هو أمر يشكل خطورة بالغة لكل المصالح الأمريكية فى المنطقة ليس فقط بسبب الأفعال التى يمكن أن يقوم بها ولكن أيضاً –وهذا هو الأهم– لأن بقاء صدام فى موقعه سيكون دليلا على عدم قدرة أمريكا على متابعة سياساتها الطموح فى العالم..

... ولم يغب عن بال قادة أمريكا أن الهدف الأسمى وهو احتلال العراق، يحتاج إلى جيش من الإعلاميين تكون مهمته التمهيد لهذا العمل بنشر الأكاذيب وتزييف الحقائق.. وكما يقول دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى آنذاك بات يتعين على الصحافة ألا تكون لها مهمة أخرى غير ترويج الأكاذيب ويذكر أن هناك مكتباً ملحقا بالبنتاجون يشرف عليه بنفسه مهمته الأساسية بث الأكاذيب المختلفة على الكوكب الأرضى قاطبة.

وهناك وحدة تعرف باسم "وحدة التأثير الاستراتيجى" ميزانيتها عشرات الملايين من الدولارات قامت بتوقيع عقد بحوالى ١٠٠ ألف دولار شهرياً مع شركة اتصال تعرف باسم "ريندون جروب' تعمل فى مواقع استشارية لعدد من دول الخليج وتتعاون مع جهاز المخابرات الـC.I.A والمعارضة العراقية معاً.. وتتعامل هذه الشركة مع صحفيين وكتاب فى الشرق الأوسط، والعالم العربى وآسيا وأوروبا، فتعطيهم رسائل صحفية، وتعليقات وتمدهم بالمعلومات التى تتوافق مع أمنيات ورغبات الإدارة الأمريكية وتفعيل الخيارات الخاصة بالحرب والاستراتيجية الأمريكية فى بلادهم فى مقابل رواتب شهرية تصل إليهم بطرق خفيفة حتى لا يفتضح أمرهم، ولضمان ولائهم وانحيازهم التام لكافة الطروحات الأمريكية.

ولقد أثير حديث حول هذه الوحدة (وحدة التأثير الاستراتيجى) بقدر ما يؤكد أنها ألغيت لكن رامسفيلد عاد ليؤكد أن إلغاءها تم (على الأوراق) لكنها لاتزال تمارس أنشطتها.

وكانت "لوس أنجلوس تايمز" تحدثت عن خطط احتكار المعلومات وأشارت إلى إدارة المعلومات الموجهة إلى العامة ورقابة المصادر الصحفية، والسيطرة على الرأى العام.. وذكرت أن هناك رسائل إعلامية تهدف إلى ترويج سوء الفهم.. وأوضحت أن وحدة التأثير الاستراتيجى تقوم بتسريب معلومات لكى تبتلعها الصحافة الأمريكية والعالمية لخدمة المصالح الأمريكية.

.."أيا كان الأمر" ومهما كانت قوة الدعاية التى تبثها الولايات المتحدة، فالمحقق أن الحرب التى دارت رحاها فى العراق، لم يكن من هدف لها سوى احتلال هذا البلد العربى، ليكون نقطة انطلاق للمخطط الأمريكى الخاص بإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط واحتكار القرار الدولى لأطول مدة ممكنة والبقاء سيدة العالم بلا منازع.

.. كما أن ضمان أمن إسرائيل هو أحد الأهداف التى ترمى إليها أمريكا من وراء هذه الحرب، وكذلك إقامة محور يجمع تل أبيب و"بغداد الجديدة" وأنقره يكون رأس حربة لضمان الاستقرار ويحقق لأمريكا الهيمنة الكاملة.

.. بمعنى آخر: إن الحرب الأمريكية فى العراق هى –فى الواقع– كوكتيل حروب: حرب عسكرية، وحرب إعلامية، وحرب نفسية، يديرها البنتاجون خصوصاً عبر وحدة التأثير الاستراتيجى التى كان يقودها دونالد رامسفيلد وزير الدفاع بنفسه ومهمتها تزييف الحقائق وتسريب المعلومات الكاذبة لكى تبتلعها الصحف الأمريكية العالمية.

وما يحدث – بين وقت وآخر – من تضارب حول مصير أسامة بن لادن وأيمن الظواهرى والشرائط المسجلة التى يقال إنهما يبعثان بها.. كل ذلك ليس إلا من قبيل الأخبار المزيفة التى يروجها البنتاجون عبر وحدة التأثير الاستراتيجى.

.. ولعل أخطر الحقائق التى تم تزييفها إعلامياً حتى كادت تصبح حقيقة راسخة مع "أنها فى الأصل" أكذوبة كبرى، هى حقيقة أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ وهل هى بالفعل من صنع أسامة بن لادن مؤسس تنظيم القاعدة الإرهابى، أم أنها من فبركة المخابرات الأمريكية بكافة أنواعها؟

الراجح أنها من صنع الأخيرة (أى المخابرات) ولقد صدرت عشرات الكتب فى أوربا وأمريكا ترجح هذه الفرضية لكن الميديا الأمريكية ترفض ذلك شكلاً وموضوعاً، وتزعم أن أصابع أسامة بن لادن هى التى تقف وراء هذا الحادث الذى

هز العالم هزاً عنيفاً.. بل وتغضب الحكومة الأمريكية إذا ما تحدث الآخرون عن فكرة المؤامرة التى حاكتها الإدارة فى البيت الأبيض لتخلق بذلك الحجة أو الذريعة لكى تغزو العالم، وتحتل من مناطقه كما تشاء ولعل أول كتاب صدر فى هذا الشأن كان لكاتب فرنسى يدعى تيرى ميسان وهو بعنوان "الخديعة الكبرى".. لكن قامت الدنيا فى أمريكا ولم تقعد، وحاولت احتواء الكتاب بعد أن صدر بعدة لغات ومنها اللغة العربية، وكتب ديفيد وولش السفير الأمريكى فى القاهرة وقتذاك محتجاً على الصحف المصرية التى تفسح المجال لشرح فرضيات وأفكار هذا الكتاب.. بل وقفت أمريكا وراء إغلاق مركز الشيخ زايد للأبحاث والذى كان أول من ترجم كتاب الخديعة الكبرى، ودعا المؤلف لإجراء نقاشات معه، أصدرها المركز لاحقا فى كتاب.. بمعنى آخر إن أمريكا تقود إلى جانب حربها العسكرية فى العراق، حرباً إعلامية فى كل الاتجاهات بهدف الوقوف فى وجه الحقائق، حتى يتسنى لها ترويج أكاذيبها.

.. ومن هذه الحقائق أن واشنطن كانت تعلم قبل شهرين على الأقل من وقوع أحداث ١١ سبتمبر أن هناك مجموعة تضم نحو ٢٥ شخصاً من الطلاب العرب يتدربون على قيادة (بل وخطف) طائرات الركاب.. وتحدث ضابط أمن أمريكى عن شكوكه فى أن يكون لهؤلاء "صلة ما" بأسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة فى أفغانستان إلا أن جهاز الـC.I.A لم ير فى هذا القول ما يكفى من الدوافع والأدلة لوضع شكوك هذا الضابط الأمريكى موضع فحص وتمحيص!!

وكانت أجهزة أمنية لنحو خمس دول هى: (روسيا، ومصر، وإسرائيل، وفرنسا وألمانيا) حذرت أمريكا من وقوع هجمات على أماكن بعينها داخل الأراضى الأمريكية.. فى يونيو ٢٠٠١ بعثت المخابرات الألمانية بتقرير سرى تذكر فيه بالحرف الواحد أن إرهابيين قادمين من الشرق الأوسط لديهم نية خطف طائرات لمهاجمة رموز مهمة داخل أمريكا، لكن جهاز الـC.I.A الأمريكى لم يعر هذا التقرير الألمانى أدنى اهتمام.

وثمة واقعة مؤكدة هى أن الرئيس الروسى بوتين كلف معاونيه بإرسال تحذير إلى الحكومة الأمريكية من أحداث إرهابية يتم التخطيط لها وتستهدف مواقع حساسة فى نيويورك وواشنطن وتحدث ضابط روسى كبير إلى نظيره الأمريكى عن عمليات انتحارية لضرب أمريكا..

وفى مقابلة صحفية قال بوتين: إننى مندهش من رد فعل واشنطن إزاء التحذيرات التى بعثنا بها إليها لقد هز قادة أمريكا أكتافهم فى سخرية ولا مبالاة وكانت إجابتهم غريبة عندما قالوا: لا نستطيع أن نفعل شيئا ما، لأن نظام طالبان يرفض أن يطرد أسامة بن لادن!

.. ويرجح رجال الاستراتيجيا القول بأن هذه الردود من الجانب الأمريكى التى لم تأخذ كل هذه التحذيرات على محمل الجد، هى أمر مخطط له سلفا، لأنه يخدم الأهداف الأمريكية فواشنطن تريد أن تقع "الكارثة" لكى تتذرع بها كدولة جريحة تريد أن تنتقم لنفسها دون أن يعترض أحد عندما تحرق الأخضر واليابس لاحقاً.. (وهو ما حدث بالفعل فى العراق).

وهكذا كانت وسائل "الميديا" مرتكزاً أساسياً للمخطط الأمريكى عن طريق نشر الأكاذيب وأهمها أن أمريكا جاءت لتحرير العراق وليس لاحتلاله، إلى حد يجعلنا نشعر -بحق- أننا نعيش عصر الأكاذيب الأمريكية الكبرى.

"المجتمع الدولى".. مفهوم فارغ فى المعنى:

-- لابد أن نعترف -بداية- بأن مفهوم "المجتمع الدولى" هو من أكثر المفاهيم السياسية التباسا، خصوصا بعد أن افتضح أمره فى ضوء تاريخين مهمين، الأول هو ٩ نوفمبر ١٩٨٩ وهو تاريخ سقوط حائط برلين وانفراد الولايات المتحدة بالقرار الدولى (بعد انهيار الاتحاد السوفيتى)، والثانى ١١ سبتمبر ٢٠٠١، الذى فتح شهية الولايات المتحدة نحو الانتقام من العالم -كل العالم- باعتبار أنها دولة جريحة راح من أبنائها أكثر من ثلاثة آلاف ضحية.

.. فالثابت -نظريا على الأقل- أن مصطلح المجتمع الدولى، يعنى أن هناك مجموعة من الدول تحترم نفس القوانين وتقتسم مصلحة مشتركة، لكن ما يحدث -- فى أرض الواقع- يدل على أن هناك زيفا كبيرا يتعلق بالمفهوم وتطبيقاته على السواء، فالمفهوم تقلص (وفقد كثيرا من مدلولاته)، وأصبح يعنى -فى أقصاه- إرادة دولة واحدة كبرى أو على أقصى تقدير أرادت مجموعة صغيرة من الدول، اجتمعت لتحقيق مصلحة ما، ومن ثم فالقراءة الصحيحة للمفهوم -فى هذه الحالة- تجعلنا نحصره فى الدائرة الضيقة التى تعبر عنها الاتحادات والروابط والجامعات الإقليمية (وليست الدولية أو العالمية).

لكن ما يحدث عمليا، هو أن هذه الإرادة الفئوية، (التى تعبر عن فئة بعينها)، تحاول أن تصبغ نفسها بالصبغة الدولية لتظهر فى ثوب عالمى وكأنها إرادة عالمية مع أن العالم منها براء!

.. وفى أحايين كثيرة، تصور دولة واحدة- مثل أمريكا- إرادتها وكأنها الإرادة الدولية، ومن ثم يتحتم على العالم أن يرضخ لها دون مراجعة، وقد تكرر هذا الأمر كثيرا حتى بات مألوفا، ولم يعد يجـ'دل أحد فى ضرورة الفصل بين "الإرادة الأمريكية" بوصفها إرادة دولة واحدة و "الإرا دة الدولية" التى يجب أن تعبر عن مجموع إرادات دول العالم.. فتاهت الأولى فى الثانية وأصبح عسيرا التمييز بينها.

.. ولاشك أن الأحداث الدولية القريبة والبعيدة تؤكد هذا الخلط (المتعمد وغير البرئ) بين الإرادتين، فما تريده أمريكا -لدولة الأقوى فى العالم- هو ذاته ما يجب أن تريده كل الدول (أو هكذا ينبغى أن يكون).. وللعالم أن ينشئ ما يشاء من القوانين، والقواعد التى تحكم العلاقات السياسية الدولية، لكن هذا لا يعنى أن أمريكا يجب أن تخضع لها (فهذا شئ وذاك شئ آخر)، والمثال الصارخ على ذلك، هو رفض الولايات المتحدة فكرة إنشاء محكمة جنائية دولية، وإصرارها على عدم تقديم

جنودها (المنتشرين فى العالم) إلى هذه المحكمة مهما كانت المجازر التى ارتكبوها.. وقصة رفض اتفاقية "كيوتو" المناخية معروفة، برغم أن أمريكا من أكثر الدول تلويثا للمناخ وتتصدر قائمة المسئولين عن ظاهرة الاحتباس الحرارى فى العالم.

الغريب أن هذه السلوكيات (المارقة) من جانب واشنطن، لا يطرف لها جفن وكأنها أمر عادى، ولم يتساءل (إلا القليلون) عن المجتمع الدولى الغائب أو المُغيّب (لافرق)، ولكن إذا خالفت (دولة صغرى) بعض القواعد الدولية وأغضب ذلك الدول الكبرى، ترتفع الأصوات فى العالم أجمع تحذر من الخروج على إرادة المجتمع الدولى أو الشرعية الدولية، التى تبدو وكأنها -فى هذه الحالة- ضحية يجب عدم الصمت إزاءها.. ولعل هذا ما نقصده بـ"لزيف الذى بات يُغلّف مفهوم المجتمع الدولى الذى "يغيب" و "يحضر" بحسب إرادة القطب الواحد.

والخطير فى الأمر، أن الأمم المتحدة التى تعتبر التجسيد الحقيقى و(الواقعى) لفكرة الإرادة الدولية، أصبحت فى حكم الملغاة أو الغائبة (بشكل دائم)، فها هى مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة تقول: الولايات المتحدة (وليس الأمم المتحدة) هى التى تسوس النظام الدولى!

وعبر ممارسات دولية عديدة أصبح راسخا أن المنظمة الدولية ليست إلا إحدى أدوات تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية، ومن ثم لم يعد ما يقوله كوفى أنان أمين عام الأمم المتحدة السابق، يختلف فى قليل أو كثير عما تقول به الإدارة الأمريكية.

فما يصدر باسم المنظمة الدولية بشأن العراق أو دارفور، ليس أكثر من قرارات أمريكية.. وبدلا من أن يصرح بها مسئولون أمريكيون، يتولى موظفو الأمم المتحدة مهمة الإبلاغ.

.. وفى الأزمة الناشئة بين المنظمة الدولية ولبنان، بشأن تغيير الدستور، اعترضت أولا الإدارة الأمريكية على فكرة تغيير بعض مواد الدستور اللبنانى (برغم موافقة الحكومة والبرلمان)، كما أصدر كوفى أنان لاحقا بيانا يطالب فيه دول العالم بعدم

التلاعب بدساتيرها.. فكأن كل دوره -كأمين عام- أن يصادق على ما تراه أمريكا وترغبه فقط لاغير.

.. ومع تكريس هذا الحال، الذى يضمن لأمريكا (القوة والنفوذ)، فقد مفهوم "المجتمع الدولى" مدلولاته (الجمعية)، كما فقد ما كان يستوجبه من تقدير وإجلال.. والعجيب أن أمريكا كانت أول من فتح طريق التقليل من هيبة ما يُعرف بالمجتمع الدولى.. فيروى أن الرئيس الأمريكى ريجان عندما بلغه نبأ أن هناك نحو مائة دولة فى الأمم المتحدة أدانت غزو أمريكا لجرينادا فى عام ١٩٨٣، قال فى استخفاف: إن هذا الأمر يجب ألا يعكر صفو إفطارى الصباحى!

وشئ قريب من ذلك قاله جيمس دولى المدير السابق لوكالة المخابرات الأمريكية فى حديث جاء فيه:

إننا يجب ألا نبالى برد فعل العالم العربى، لأن صمته فى أعقاب الانتصارات الأمريكية فى أفغانستان يثبت أن الخوف وحده هو الذى سيعيد الاحترام للولايات المتحدة.

ومعنى ذلك أن أمريكا لا تلقى بالاً لقانونٍ، أو عُرف أو رأى عام أو مجتمع دولى، وحسبها أن تحافظ على مصالحها (الحيوية) بتوظيف جميع الآليات الإقليمية والدولية لتحقق ما تريد، أما إذا حدث بعض التضاد بين إرادتها وإرادة أى هيئة، حتى ولو كانت الأمم المتحدة، فسوف تضحى بها فى لمح البصر..

فيروى عن سفير أمريكا فى الأمم المتحدة قوله: إنهم لو أرادوا نقل مقر الأمم المتحدة خارج أمريكا، فإن إدارة ريجان لن تفعل شيئا لإيقافهم، وأضاف فى حديثه إلى المندوبين الدائمين: لن نضع عوائق فى طريقكم، وسيذهب أعضاء البعثة الأمريكية للموانئ لتوديعكم وأنتم تبُحرون إلى ما وراء الشمس!

.. وهكذا يتبين لنا أن المجتمع الدولى وكذلك الإرادة الدولية أو الشرعية الدولية، ليست إلا "أحجية" أو "فزورة" تتسلى بها واشنطن وقتما (وأينما) تريد..

سلاح الميديا (حرب العراق نموذجاً) :

..لأمر ما تكون "وسائل الميديا" هى الهدف الاستراتيجى الأول الذى تضعه أى قوة انقلابية (فى أى دولة) فى اعتبارها بحيث يكون فرض السيطرة عليها على رأس أجندتها لأنها تعلم أن امتلاك "المعلومة" شئ مهم. والسيطرة على "حواس" الشعوب هو شرط أساسى لنجاح أى فكرة أو مُخطط.. ولذلك تأتى "الدعاية" أو "الإعلام" أو "الميديا" ضمن أدوات السياسة الخارجية لأى دولة جنباً إلى جنب مع الدبلوماسية والحرب..

ولذلك كانت الخطوة الأولى لثورة ٢٣ يوليو بعد أن زحفت قواتها العسكرية نحو القصر الملكى –هو أن يصدر بيانًا للأمة عبر الإذاعة المصرية، يتحدث عن الثورة.. وأهدافها الستة التى تشمل إصلاح الداخل والخارج، وبذلك تضمن "تحييد" إن لم يكن "تأييد" الشعب.

وعندما استقر تفكير هتلر على إن ألمانيا لن تتغلب على مشاكلها الاقتصادية إلا بغزو الدول القريبة منها وخصوصاً بولندا، كان لابد من ترويج معلومات تفيد بأن بولندا اعتدت على ألمانيا لكى يُبرر هتلر خطته الرامية إلى احتلالها. وبالفعل فى عام ١٩٣٩ خطب هتلر فى نحو ١٤ شخصاً من كبار مساعديه وقادته العسكريين وقال: إذا أردنا أن نحل مشاكلنا الاقتصادية فى ألمانيا فعلينا أن نمد فضاءنا الحيوى فى كل أنحاء أوروبا. ومن ثم ينبغى أن نغزو دولاً أقرب لنقل ثرواتها إلينا ولتصبح شعوبها مخزوناً احتياطياً للأيدى العاملة.

...وعبر وسائل الميديا التى كانت مُتاحة فى ذلك العصر، دأبت الدعاية الهتلرية على ترويج هذه الفكرة، وإقناع الناس بها.. وفى أغسطس من نفس العام أعطى هتلر تعليماته إلى أحد قادته بأن يهاجم محطة إرسال ألمانية تقع على الحدود مع بولندا، على أن يقوم بالعملية التى عرفت باسم "هيملر" جنود ألمان لكن يرتدون الزى العسكرى البولندى لإيهام العالم أن القوات البولندية هى التى هاجمت ألمانيا، وتم

استخدام عشرات السجناء الألمان الذين سقطوا ضحايا فى العملية التى أشرف عليها ضابط ألمانى كبير يدعى "نوجوكس".

.. حدث ذلك فى مساء ٣١ أغسطس ، ثم خرج هتلر فى أول سبتمبر ليعلن أن بولندا اعتدت على ألمانيا ولذلك فالواجب الوطنى الألمانى يحتم الرد على الفور. وبعد "فبركة" هجوم بالقنابل تمت تعبئة الجيش الألمانى نفسياً -بعد الدعاية والإعلام- للدخول فى حرب ضد بولندا التى تجرأت بالاعتداء على ألمانيا وخطب هتلر يقول (كاذباً):

- دخل جنود بولنديون أرضنا، واعتدوا على ترابنا الوطنى وأطلقوا النيران على مواطنينا وأسقطوا منهم ضحايا، لذلك قررنا أن نرد على القنابل، وعلى التفجيرات بمتفجرات وهكذا ، اندلعت شرارة الحرب العالمية الثانية بأكذوبة صنعها هتلر.

• وإذا تأملنا الأحداث الإقليمية والدولية الغربية وخصوصاً الحرب الأمريكية على العراق، لوجدنا أن وسائل الميديا "هى المتورط الأول فى هذه الحرب"..

ولذلك تم "فبركة أكاذيب" عديدة، شملت أسباب الحرب ونتائجها على السواء بهدف خدمة الفكر الإمبراطورى الأمريكى الذى يريد أن يسيطر على العالم من أقصاه إلى أدناه امتثالاً لمقولة مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة: العالم لنا، العالم الأمريكان!.

والثابت اليوم أن هدف أمريكا من الحرب الضروس التى شنتها على العراق لم يكن إسقاط نظام صدام حسين أو نزع أسلحته للدمار الشامل، حسبما كانت تروج أبواقها الدعائية والإعلامية بكل وسائل الميديا، وبشتى اللغات، وفى كل بقاع الأرض، لأن هدفاً متواضعاً "كهذا، ليس فى حاجة إلى تعبئة كل هذه الحشود والعتاد (ربع مليون جندى أمريكى وبريطانى) فى المنطقة، خصوصاً إذا علمنا أن لجان التفتيش الدولية أكدت أن العراق "خال" من أسلحة الدمار الشامل، ثم أن إسقاط نظام صدام حسين هو أمر قد تحققه فرقة صغيرة فى زمن قصير ثم ينتهى الأمر.

لكن لأن الهدف كان هو احتلال العراق.. فكان لابد من تسويق الأكاذيب، وترويج الحجج والأعذار فى كل وسائل الميديا، لكسب الرأى العام الأمريكى والعالمى إلى صف الحرب.

..وحول نفس المعنى يؤكد الخبراء الاستراتيجيون أن العراق لو كان يصدر "طماطم" أو "تفاحاً" لما كانت اهتمت به أمريكا لا من قريب ولا من بعيد، ولكن لأنه يُصّدر "النفط" ويتحكم بشكل أساسى فى أسعاره، فكان لابد من احتلاله، واستغلال ثرواته لتضخ القوة –فى النهاية– فى شرايين الدولة العظمى فى العالم.

فضلاً عن أن أمريكا التى تستهلك ربع إنتاج الطاقة فى العالم –لم تشأ أن تترك دولة طامحة إلى القوة (مثل العراق) تتحكم فى هذه السلعة الاستراتيجية فى العالم (النفط).

والحقيقة التى لا ينكرها أحد هى أن رحيل صدام حسين هو جزء أساسى من خطة شاملة تستهدف تغيير أو "إعادة صياغة" منطقة الشرق الأوسط. فأمريكا المنتصرة فى الحرب الباردة (ثم فى حرب الخليج الثانية) رسمت موقفها السياسى فى منطقة الشرق الأوسط انطلاقاً من هذه النجاحات..والصورة المأمولة هى: أن تكون هناك سوريا ضعيفة، والالتفاف حول إيران لضمان الحدود الشمالية لإسرائيل وإسقاط نظام صدام حسين لتحل محله قوة إسرائيلية قوامها تحالف تركى إسرائيلى ..وهذه الصورة مرهونة بتحرك أمريكى حاسم لاحتلال العراق..

وبالتالى رأت الإدارة الأمريكية أن وجود عراق قوى "تحت قيادة صدام حسين هو أمر يشكل خطورة بالغة على المصالح الأمريكية فى المنطقة ليس فقط بسبب الأفعال التى يمكن أن يقوم بها ولكن أيضاً –وهذا هو الأهم –لأن بقاء صدام فى موقعه سيكون دليلاً على عدم قدرة أمريكا على متابعة سياستها الطموح فى العالم ..

..ولم يغب عن بال قادة أمريكا أن الهدف الأسمى وهو احتلال العراق، يحتاج إلى جيش من الإعلاميين تكون مهمته التمهيد لهذا العمل بنشر الأكاذيب، وتزييف

الحقائق وكما كان يقول دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى السابق بات يتعين على الصحافة ألا تكون لها مهمة أخرى غير ترويج الأكاذيب! ويذكر أن هناك مكتباً ملحقاً بالبنتاجون يشرف عليه بنفسه مهمته الأساسية بث الأكاذيب المختلفة على الكوكب الأرضى قاطبة.

وهناك وحدة تعرف باسم "وحدة التفكير الاستراتيجى" ميزانيتها عشرات الملايين من الدولارات قامت بتوقيع عقد بحوالى ١٠٠ ألف دولار شهرياً مع شركة اتصال تعرف باسم (ريندون جروب) تعمل فى مواقع استشارية لعدد من دول الخليج وتتعاون مع جهاز المخابرات الـCIA والمعارضة العراقية معاً..وتتعامل هذه الشركة مع الصحفيين وكتاب فى الشرق الأوسط، والعالم العربى وآسيا وأوربا، فتعطيهم رسائل صحفية، وتعليقات وتمدهم بالمعلومات التى تتوافق مع أمنيات ورغبات الإدارة الأمريكية وتفضيل الخيارات الخاصة بالحرب والاستراتيجية الأمريكية فى بلادهم فى مقابل رواتب شهرية تصل إليهم بطرق خفية حتى لا يفتضح أمرهم، ولضمان ولائهم وانحيازهم التام لكافة الطروحات الأمريكية.

ولقد أثير حديث حول هذه الوحدة (وحدة التفكير الاستراتيجى) فصدر ما يؤكد أنها ألغيت لكن رامسفيلد عاد ليؤكد أن إلغاءها تم (على الأوراق) لكنها ما تزال تمارس أنشطتها.

وكانت لوس أنجلوس تايمز تحدثت عن خطط احتكار المعلومات وأشارت إلى إدارة المعلومات الموجهة إلى العامة ورقابة المصادر الصحفية، والسيطرة على الرأى العام.. وذكرت أن هناك رسائل إعلامية تهدف إلى ترويج سوء الفهم.. وأوضحت أن وحدة التفكير الاستراتيجى تقوم بتسريب معلومات لكى تبتلعها الصحافة الأوربية والعالمية لخدمة المصالح الأمريكية..

..أيا كان الأمر، ومهما كانت قوة الدعاية التى تبثها الولايات المتحدة فالمحقق أن الحرب التى دارت رحاها فى العراق، لم يكن من هدف لها سوى احتلال هذا البلد

العربى، ليكون نقطة انطلاق للمخطط الأمريكي الخاص بإعادة تشكيل منطقة الشرق الأوسط واحتكار القرار الدولى لأطول مدة ممكنة والبقاء سيدة العالم بلا منازع

..كما أن ضمان أمن إسرائيل هو أحد الأهداف التى ترمى إليها أمريكا من وراء هذه الحرب وكذلك إقامة محور يجمع (تل أبيب وبغداد الجديدة وانقرة) يكون رأس حربة لضمان الاستقرار ويحقق لأمريكا الهيمنة الكاملة..

..بمعنى آخر: أن الحرب الأمريكية فى العراق هى -فى الواقع- كوكتيل حروب: حرب عسكرية، وحرب إعلامية، وحرب نفسية يديرها البنتاجون خصوصاً عبر وحدة التأثير الاستراتيجى التى يقودها دونالد رامسفيلد وزير الدفاع بنفسه ومهمتها تزييف الحقائق وتسريب المعلومات الكاذبة لكى تبتلعها الصحف الأمريكية والعالمية..

وما يحدث -بين وقت وآخر- من تضارب حول مصير أسامة بن لادن وأيمن الظواهرى والشرائط المسجلة التى يُقال أنهما يبعثان بها، ..كل ذلك ليس إلا من قبيل الأخبار المُزيّفة التى يُروّجها البنتاجون عبر وحدة التأثير الاستراتيجى..

..ولعل أخطر الحقائق التى تم تزييفها إعلامياً حتى كادت تصبح حقيقة راسخة مع أنها فى الأصل أكذوبة كبرى، ..هى حقيقة أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ وهل هى بالفعل من صُنع أسامة بن لادن مؤسس تنظيم القاعدة الإرهابى، أم أنها من فبركة المخابرات الأمريكية بكافة أنواعها؟

الراجح أنها من صنع الأخيرة (أى المخابرات) ولقد صدرت عشرات الكتب فى أوروبا وأمريكا ترجح هذه الفرضية، لكن الميديا الأمريكية ترفض ذلك شكلاً وموضوعاً، وتزعم أن أصابع أسامة بن لادن هى التى تقف وراء هذا الحادث الذى هزّ العالم هزّاً عنيفاً..

بل وتغضب الحكومة الأمريكية إذا ما تحدث الآخرون عن فكرة المؤامرة التى حاكتها الإدارة فى البيت الأبيض لتخلق بذلك الحجة أو الذريعة لكى تغزو العالم، وتحتل من مناطقه كما تشاء..

ولعل أول كتاب صدر فى هذا الشأن كان لكاتب فرنسى يدعى تيرى ميسان وهو بعنوان "الخديعة الكبرى".. لكن قامت الدنيا فى أمريكا ولم تقعد، وحاولت احتواء الكتاب بعد أن صدر بعدة لغات ومنها اللغة العربية، وكتب ديفيد وولش السفير الأمريكى فى القاهرة وقتذاك محتجاً على الصحف المصرية التى تفسح المجال لشرح فرضيات وأفكار هذا الكتاب..

بل وقفت أمريكا وراء إغلاق مركز الشيخ زايد للأبحاث والذى كان أول من ترجم كتاب الخديعة الكبرى، ودعا المؤلف لإجراء نقاشات معه، أصدرها المركز لاحقاً فى كتاب.. بمعنى آخر أن أمريكا تقود إلى جانب حربها العسكرية فى العراق، حرباً إعلامية فى كل الاتجاهات بهدف الوقوف فى وجه الحقائق، حتى يتسنى لها ترويج أكاذيبها..

..ومن هذه الحقائق أن واشنطن كانت تعلم قبل شهرين على الأقل من وقوع أحداث ١١ سبتمبر أن هناك مجموعة تضم نحو ٢٥ شخصاً من الطلاب العرب يتدربون على قيادة (بل وخطف) طائرات الركاب... وتحدث ضابط أمن أمريكى عن شكوكه فى أن يكون لهؤلاء "صلة ما" بأسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة فى أفغانستان إلا أن جهاز الـ C.I.A لم ير فى هذا القول ما يكفى من الدوافع والأدلة لوضع شكوك هذا الضابط الأمريكى موضع فحص وتمحيص.!!

وكانت أجهزة أمنية لنحو خمس دول هى (روسيا، ومصر، وإسرائيل، وفرنسا وألمانيا) حذرت أمريكا من وقوع هجمات على أماكن بعينها داخل الأراضى الأمريكية.. ففى يونيو ٢٠٠١ بعثت المخابرات الألمانية بتقرير سرى تذكر فيه بالحرف الواحد أن إرهابيين قادمين من الشرق الأوسط لديهم نية خطف طائرات

لمهاجمة رموز مهمة داخل أمريكا، لكن جهاز الـ C.I.A الأمريكى لم يُعر هذا التقرير الألمانى أدنى اهتمام.

وثمة واقعة مؤكدة هى أن الرئيس الروسى بوتين كلف معاونين بإرسال تحذير إلى الحكومة الأمريكية من أحداث إرهابية يتم التخطيط لها وتستهدف مواقع حساسة فى نيويورك وواشنطن وتحدث ضابط روسى كبير إلى نظيره الأمريكى عن عمليات انتحارية لضرب أمريكا..

وفى مقابلة صحفية قال بوتين: إننى مندهش من رد فعل واشنطن إزاء التحذيرات التى لفتنا نظرها إليها لقد هزّ قادة أمريكا أكتافهم فى سخرية ولا مبالاة وكانت إجابتهم غريبة عندما قالوا: لا نستطيع أن نفعل شيئاً ما، لأن نظام طالبان يرفض أن يطرد أسامه بن لادن!

ويرجح رجال الاستراتيجيا القول بأن هذه الردود من الجانب الأمريكى التى لم تأخذ كل هذه التحذيرات على محمل الجد، هى أمر مخطط له سلفاً، لأنه يخدم الأهداف الأمريكية فواشنطن تريد أن تقع "الكارثة" لكى تتذرع بها كدولة جريحة تسعى إلى الانتقام لنفسها دون أن يعترض أحد عندما تحرق الأخضر واليابس لاحقاً.. (وهو ما حدث بالفعل فى العراق)..

..وهكذا كانت وسائل "الميديا" مرتكزاً أساسياً للمخطط الأمريكى عن طريق نشر الأكاذيب وأهمها أن أمريكا جاءت لتحرير العراق وليس لاحتلاله إلى حد يجعلنا نشعر –بحق– أننا نعيش عصر الأكاذيب الأمريكية الكبرى.. ولم لا، أليست أمريكا هى أكبر وأغنى وأقوى دولة فى العالم تتربع على عرش الاقتصاد، والتكنولوجيا والسلاح، ولذلك انعقد لها "لواء" القيادة أو الهيمنة (لا فرق)...

ولأنها كذلك، فهى تحتكر أيضاً وسائل الميديا (قديمها وحديثها) تُزيف ما تشاء من أنباء. وتروّج ما تريد من معلومات، وليس على دول العالم أجمع سوى أن

"تقتات" ليل نهار مما تسربه إليها من أخبار تبثها عبر شاشاتها، وتنشرها فى صحفها، وتذيعها عبر الأثير وكأنه مسلمة من المسلمات الأمريكية التى لا تقبل الدحض أو الإنكار، وكيف لا يكون الأمر كذلك، وكافة المعلومات تأتينا رخيّة، نديّة من سيدة العالم (أمريكا).. "أياً كان الأمر فإن أحداً ليس بوسعه إنكار اتهام أمريكا بتزييف الحقائق وبأنها تمارس هذا العمل الشائن بطريقة (ممنهجة ومنتظمة) بحسب "الواشنطن بوست" التى تؤكد أن الأحداث الأخيرة فى العراق تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الإدارة الأمريكية كذبت على الشعب الأمريكى والعالم عندما اتهمت نظام صدام حسين بأنه يخفى أسلحة دمار شامل فى بلده، وبرنامجه النووى أكثر نشاطاً وأكثر حتمية وأكثر قرباً فى تهديده مما أظهرت المعلومات المتوفرة لها.

ورغم زيف كل ما قيل حول قوة صدام حسين النووية، إلا أن أمريكا أصرت على اتهامه فتحدثت عن يورانيوم 'لنيجر، والأسلحة الجرثومية والكيماوية والمختبرات المتنقلة. ولم تشأ أن تتراجع قيد أنملة عن أكاذيبها حتى بعد أن تبين أن الشريك البريطانى (ممثلاً فى تونى بلير رئيس الحكومة البريطانية آنذاك أصبح على بُعد خطوات من القضبان التى سوف يقف وراءها متهماً بدفع خبير الأسلحة الكيماوية (ديفيد كيلى) إلى الانتحار بعد أن أفشى أسراراً تؤكد أن مكتب تونى بلير مارس ضغوطاً عليه لكى يُزيّف فى التقرير الخاص بأسلحة الدمار الشامل فى العراق.

وكذبت أمريكا أيضاً عندما زعمت أن فلول نظام صدام حسين هى التى تقود المقاومة العراقية الباسلة فى العراق ونسيت أو لعلها تناست أن الشعب العراقى كان يكره صدام حسين (المستبد الجائر) لكنه أيضاً يرفض الاحتلال الأمريكى لبلاده لذلك استقبلت القوات الأمريكية ليس بالورود والرياحين كما كانت تظن أمريكا، وإنما بشعار: "لا لصدام ولا للاحتلال".

وتعمدت أمريكا تشويه الحقائق، وروّجت عبر أبواقها الدعائية أن ولدىّ صدام

حسين (عدى وقصى) هما اللذان يقفان وراء هجمات المقاومة العراقية التى تستهدف قوات الاحتلال.. وظنت وأكثر الظن ليس بإثم، أنه بوفاة عدى وقصى سوف تطوى صفحة المقاومة.. وهو ما لم يحدث، لأنها تأتى عفوية ولا علاقة لها بأية رموز من النظام السابق.

obeikandl.com

obeikandl.com